النقد الاجتماعي بين التنظير والإنجاز
قراءة في المدونة النقدية الجزائرية المعاصرة

خديجة حبيبي
كلية الآداب واللغات، جامعة معسكر

الملخص

يهدف هذا البحث إلى قراءة المنهج الاجتماعي في المقاربات النقدية الجزائرية المعاصرة تنظيرا وإنجازا ، ولتحقيق هذه الغاية اقتضت الخطة الإجرائية للبحث مناقشة هذه الإشكالية في محورين أساسين ، تناولت في الأول مسائل نظرية تتعلق بالمنهج الاجتماعي انطلاقا من مرجعياته ، إلى أن تبلور في اتجاهات نقدية أبرزها المنهج الاجتماعي الجدلي، البنيوية التكوينية، والمنهج السوسيو نقد. وفي المحور الثاني حاولت قراءة وتقييم القراءات العربية المعاصرة وبالأخص المدونة الجزائرية التي تعاطت مع النقد الاجتماعي تنظيرا وإنجازا.

***الكلمات* المفتاحية:**

النقد الاجتماعي – الفلسفة الماركسية -المادية الجدلية - نظرية الانعكاس - قضية الالتزام – البنيوية التكوينية - رؤية العالم -السوسيو نقدي.

تمهيد

يعد المنهج الاجتماعي واحدا من أهم المناهج النقدية الحديثة، التي سجلت حضورا بارزا في الساحة النقدية الأدبية، وقد اعتمد على مرجعية علمية في بلورة مقولاته وآلياته، التي استخدمها في دراسته للعمل الأدبي .

استند هذا الاتجاه على أطاريح علم الاجتماع (قضايا ومفاهيم) التي تمت صياغتها في مقولات وأدوات إجرائية مكنت الباحثين من مقاربة النص الأدبي، وسبر خباياه ومضامينه، التي تركزت على إبراز المضامين السوسيولوجية للأثر الإبداعي، ومدى قدرة المبدع على تجسيد قضايا مجتمعه .

وكان للمنهج الاجتماعي الجدلي حضور في الساحة النقدية العربية، لأسباب أيديولوجية كثيرة لا مجال لذكرها في هذا السياق، فضلا عن حضوره في النقد المغاربي ابتداء من ستينيات القرن الماضي وسبعينياته, وكان النقد الجزائري المعاصر واحدا من النقود العربية التي تأثرت بهذا الاتجاه. إذ حاول النقاد الجزائريون الوقوف على مضامين الأعمال الإبداعية، راصدين ضمن ذلك حركة التحول الاجتماعية وسيرورتها. ومن هنا جاء اهتمامنا لهذا الاتجاه النقدي في المشهد الثقافي الجزائري بغرض تقييم مسيرته تنظيرا وإنجازا "في المدونة النقدية الجزائرية المعاصرة", وقد اعترض سبيلي عقبة ارتبطت باختيار المدونة النقدية الملائمة التي تخدم أهداف البحث، فضلا عن تصنيف المدونات النقدية ضمن منهج محدد لارتباك كثير منها يتخلله خلط وتداخل بين مناهج مختلفة سياقية - كانت -أو نسقية ,

ومن هنا جاء تركيزي بالدرجة الأولى على المدونات النقدية الغربية والعربية. بملامسة الأصول و المرجعيات للنقد الاجتماعي بمختلف اتجاهاته ومفاهيمه وآلياته الإجرائية التي كانت موضع ممارسة وتجريب في الدراسات النقدية التي تبني هذه الاتجاهات المعاصرة ,

وانطلاقا مما سبق، اقتضت خطتي المنهجية معالجة الإشكالية في محورين أساسين، تناولت في الأول قضية أصول ومرجعيات "(المنهج)" لتكون مسطرة أهتدي بها لمقاربة المحور الثاني الموسوم : " قضايا المنهج الاجتماعـــــي في المدونة النقدية الجزائرية (بين التنظير والإنجاز)",

أولا : المنهج الاجتماعي (الأصول والمفاهيم والآليات) :

إن علاقة الأدب بالمجتمع ليست فكرة وليدة المنهج الاجتماعي الجدلي ، بل هي علاقة نجدها تمتد في عمق الفكر والفلسفة والتاريخ، أي إلى ذلك الزمن المجهول الذي بدأ الإنسان يكتب فيه الأدب، ويعبر عن أفكاره بصور تخييلية عن الواقع الاجتماعي. ولعلنا نجد في نظرية المحاكاة التي نادى بها أفلاطون وطورها تلميذه أرسطو أقدم وثيقة فيما وصل إلينا للحديث عن التفاعل بين الأدب و المجتمع، فقد تحدث أفلاطون في جمهوريته عن مكانة الشاعر وذهب إلى إبراز دوره ، وأقصى عنها بعض الأنواع الأدبية كالشعر الغنائي وشعر الملاحم ، في حين أنه أبقى على الأناشيد التي تمجد الآلهة والأبطال، فكان " يقوم بطرد الشعراء من جمهوريته الفضلى لأنهم يفسدون الأخلاق، أما الذين ينظمون الأشعار لتأجيج حماسة المحاربين فلهم

التقدير كله، وهذه نظرية اجتماعية للأدب " (محمود الخليل .إ.66.2003) . أما أرسطو فقد أدخل تعديلا على نظرية أفلاطون بحديثه عن الوظيفة التطهيرية للأدب. وهنا يقول عبارته المعروفة: " إن شعر الملاحم وشعر التراجيديا ، وكذلك الكوميديا كل هذا بوجه عام أنواع من محاكاة الواقع " (أرسطو . ط . 1967 . 28) فكليهما أكدا على أن للأدب وظيفة سامية في رقي المجتمعات وتطهيرها.

فإذا كان الفكر اليوناني أول من أرهص لهذه العلاقة ، فإن الحديث عن هذه الصلة لم ينقطع عبر مراحل تطور التاريخ. حقا إن النظرة الاجتماعية إلى الآثار الفنية ليست وليدة القرن التاسع عشر، فطالما وعى النقاد بعد الأدب وما فيه من آثار فنية وقيم جمالية، ولكنهم مع ذلك لم يصلوا إلى بلورة رؤاهم النقدية في نظرية عامة إلا في القرن التاسع عشر.

إذا عدنا إلى الموروث الفكري والثقافي للقرن التاسع عشر نجد أن البوادر الأولى للمنهج الاجتماعي في دراسة الأدب ونقده منهجيا قد عرفت عصرها الذهبي في فرنسا مع بدايات القرن التاسع عشر عندما أصدرت مدام دي ستايل *MADAME DE STAEL* (1817 -1866) كتابها الموسوم بـ : الأدب في علاقاته بالأنظمة الاجتماعية, *L'alittérature considérée dans (De ses rapports avec les institutions sociales)* فهو أول محاولة لجمع مفهومي الأدب والمجتمع في دراسة واحدة منهجية ، وفي مقدمة هذا الكتاب حددت **مدام دوستايل** موقفها حيث تقول: (لقد عزمت أن أنظر في مدى تأثير الدين والعادات والقوانين في الأدب ومدى تأثير الأدب في الدين والعادات والقوانين (الحسين. ق.2009.201) . فهي بهذا حاولت توضيح تأثير الدين

والعادات والتقاليد والنظم والأدب ، ومدى تأثير الظروف التاريخية في ظهور الجنس الأدبي ومساهمته في حد ذاته في توجيه التاريخ وتصحيحه، ثم راحت تؤكد هذه المقولة من خلال نصوص أدبية لمختلف الشعراء .

وأسهمت آراء بونالد (*bonald*) المنشورة في صحافة الأدب انتشارا واسعا في إيجاد ما يسمى: "ظاهرة علم اجتماع الأدب" أو ما يعرف "بالتأويل الاجتماعي للأدب"، فأطلق بذلك عبارته الشهيرة " الأدب تعبير عن المجتمع" سنة 1806م في جريدة " عطارد فرنسا"(*Le mercure de France*) ، إلا أن الخطوة العظيمة في تاريخ المنهج الاجتماعي في النقد الأدبي كانت على يد الناقد الفرنسي هيبوليت تين (*Hypoolyte Taine*) (1828 -1893) الذي يعد أول ناقد فرنسي أصل بمقولته الشهيرة : البيئة أو الوسط ، الجنس أو العرق اللحظة التاريخية أو العصر وقد شرح منهجه في مقدمة طويلة صدر بها كتابه (تاريخ الأدب الإنجليزي) نشره سنة 1863م مبينا ما يعنيه بكل عنصر من العناصر المشار إليها.

1 -**الجنس** : ويقصد به الخصائص القومية التي تميز أدب أمة ما عن أخرى والتي تعني تأثير المناخ والتربة والحوادث الجسام والدوافع الغريزية والعناصر الوراثية والنزاعات الدقيقة والملامح الجسدية.

2 -**البيئة**: الإنسان خاضع في بيئته لأوضاع حتمية، هي التي تتحكم بالأدب والحياة العقلية، فقد كان " **تين** " مؤمنا بحتمية البيئة.

3 -**العصر**: ويعني به روح العصر أو مكان العمل الأدبي من تاريخ التراث وربما يعني ما عبرعنه شاعر عربي قديم بقوله:" لكل زمان دولة ورجال". (عزيز الماضي . ش.1998. .63).

لقد عرف منهج تين في دراسة الآثار الأدبية نجاحا كبيرا طوال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، بل امتد إلى أوائل القرن العشرين ، ويعود السبب في ذلك إلى الطريقة العلمية التي عرض بها منهجه، وإلى شموليتها على الاستيعاب والتطبيق ولعل هذه أهم مقومات المنهج العلمي. وإذا كان تين قد وضع منهجا اجتماعيا لدراسة الآثار الأدبية، فهذا لا يعني أنه كان ناقدا أدبيا، فإنما هو فيلسوف بالدرجة الأولى، انصب اهتمامه على الآثار الفنية، لكن بالرغم من الفكر الفلسفي الذي يظهر من خلال مؤلفاته.

وبالرغم من فلسفة القرن التاسع عشر ومحاولة إخضاع الأدب إلى العلوم المختلفة واستفادته من تطوراتها ، إلا أنه حول مشروعه إلى نظرية حتمية جبرية (بوعلي .ع.ر.32).

لأجل ذلك يعطي " **تين** " أهمية كبيرة لعلاقة الفن بالتاريخ في نظرة سكونية ، ويمكن التعليق على هذه المحاولة بأنه ليس من الضرورة أن يكون الأدب مرتبطا باللحظة التاريخية السكونية ، لأن الأدب الذي نظرت له المدارس اللاحقة، لم يعد كذلك بل هو أدب ولد لعصره ولعصور أخرى لاحقة، فكان لابد من تطوير هذه النظرة السكونية لتاريخ الأدب، ولا سيما بعد انتشار الفلسفة الماركسية التي ركزت على قيمة الجانب الاجتماعي والاقتصادي في توجيه الفن .

إن الفلسفة الماركسية في الأساس نظرية في الاقتصاد السياسي وضحها المفكر المادي **كارل ماركس** *Karl marx* (1818 -1883) الذي أكسب النظرية الاجتماعية للأدب إطارها المنهجي المنظم وشكلها الفكري الناضج، فهو صاحب النظرية المعروفة باسمه بعد أن أصبحت على

يديه نظرية متكاملة ورؤية فلسفية للأدب وللتطور الاجتماعي على حد سواء " (إيجلتون.ت . تر: عصفور .ج .1986. 36) . وذهبت الماركسية أن الأدب هو محصلة لعوامل مختلفة يقف في مقدمتها العامل الاقتصادي (المادي) الذي له الأثر الواضح في تشكيل رؤية الأديب وموقفه من الحياة والمجتمع، فليس وعي الناس هو الذي يحدد وجودهم في الماركسية، بل العكس هو الصحيح فوجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم. فالأديب بحكم وضعه الطبقي يصدر عن أفكار طبقته وهمومها ومواقفها.

ومن هنا تدور الفلسفة الماركسية حول محورين أساسين ، محور المعرفة وهو ما تطلق عليه الماركسية اسم: **المادية الجدلية** (*Materialist dialectics*) ، ومحور الإنسان أو التاريخ وهو ما تسميه الماركسية **المادية التاريخية** (*Historical materialism*) فالمادية الجدلية تنطلق من المبدأ القائل:" أن المادة والطبيعة والكينونة وقائع مادية موجودة خارج الوعي ومستقلة عنه" (سلدن .ر .تر. عصفور. ج. 1998.49)

ترى المادية الجدلية أن الطبيعة مجموعة من الأشياء المترابطة ترابطا عضويا ، أما المادة فهي متحركة وتتوسع في فهم الحركة والنمو بسبب باعث التناقض الداخلي. وهذا ما يقول عنه **ماوتسي تونج** :" لكل شيء ولكل ظاهرة تناقضاتها الداخلية الكائنة فيها ، وهذه التناقضات هي التي تولد حركة الأشياء ونموها"(نصرت. ع. ر.2007. 79) وهكذا فالمادية الجدلية في الفكر الماركسي تنظر إلى الطبقات على أنها عناصر متصلة ببعضها البعض، تجد في المادة حركة دائمة وتجد التناقض الداخلي محركا لها.

أما المادية التاريخية فهي تنظر إلى المجتمع على أنه كل مترابط تتبادل كل جوانبه التأثير فيما بينها ، ويرتبط بعضها ببعض ارتباطا عضويا وثيقا ، أي أنها ترى المجتمعات تتحرك، وأن التناقض محرك لها، فكلما يكون هناك تناقض تكون الحركة (سلدن.ر.تر:عصفور.جابر.51) ، فالحركة هي محور المادية التاريخية بمعنى أن التاريخ الإنساني هو تاريخ حركة المجتمعات وانتقالها من طور إلى طور آخر أما التناقض الذي يحرك المجتمع فهو التناقض بين طبقاته وتشكيلاته الاجتماعية ، وهكذا تربط الماركسية بين التشكيلية الاجتماعية والإنتاج ، وبين قوى الإنتاج وأدواته ، ثمة تخلص إلى أن التناقض يدخل في نسيج المجتمع ، وأن المادة هي مبعث الصراع.

عملت الماركسية مع الواقعية جنبا إلى جنب في تعميق الاتجاه الذي يدعو إلى التلازم بين البيئة الاجتماعية من ناحية والأعمال الأدبية من ناحية أخرى، حيث قدمت هذه النظرية في مجال الأدب ثلاث مفهومات رئيسة في مفهوم الواقعية و الواقعية النقدية، الواقعية الاشتراكية والواقعية الطبيعية، فإذا كان مفهوم الواقعية يوافق مفهوم الانعكاس الاجتماعي المعدل إلى التعبير الصادق عن الواقع ، فإن مفهوم الواقعية النقدية المسماة "الواقعية الأم " قد تجاوز جميع المبادئ والقيم التي قامت عليها المدرسة الكلاسيكية والرومانسية، فلم يكن موضوع الواقعية النقدية تلك المثالية التي بحثت عنها المدرسة الكلاسيكية، ولا الإغراق في الخيال الذي ميز الرومانسية، وإنما بحثت عن حقيقة الواقع وتعاملت مع الإنسان الذي يجسد هذا الواقع بأدق

تفاصيله الإنسان العامل، الفلاح الإقطاعي والرأسمالي وغيرها من النماذج التي تعكس لنا واقعا نعيشه لا عالما نتخيله أو نتمناه . (هويدي .ص. 96.1426.)

أما الواقعية الطبيعية فتعد فرعا من فروع الواقعية النقدية المكونة على يد إميل زولا(1902لمح1840)، والتي ترى أن التركيب العضوي للإنسان له دور في حياته، فالواقع في نظرها مرتبط بمكونات الإنسان العضوية، وبالتالي ينبغي الكشف عنه من خلالها فهي تفرض على الأدب الاستعانة بالنظريات العلمية من أجل تصوير الواقع تصويرا دقيقا وصادقا" (مرزوق .ج. 1983 .06) ، وأما مفهوم الواقعية الاشتراكية فهو المفهوم الذي تجاوزت فيه النظرية الماركسية رؤيتها السابقة بعد أن وجدت أن نقد الواقع وحده لا يكون كافيا ما لم يرافقه وعي فكري وتصور واضح متكامل لدى الأديب لما ينبغي أن يكون عليه الواقع البديل أو المنشود. من هنا أصبح هم الواقع المنشود، ذلك الواقع الذي تنتفي فيه مختلف مظاهر الاستغلال وضروب القهر والضياع.

وهكذا أسهمت نظرية الانعكاس (*Théorie de réflexion*) التي طورتها الواقعية في تعزيز هذا التوجه الاجتماعي لدراسة الأدب، فالانعكاس عند الواقعيين يتمثل في " أن كل تصور للعالم الخارجي ليس إلا انعكاسا في الوعي الإنساني لهذا العالم الذي يوجد مستقلا عنه. هذه الحقيقة الأساسية في العلاقة بين الوعي والكائن تنطبق كذلك بطبيعة الأمر على الانعكاس الفني للواقع "(فضل .ص .1996 . 40) وهذا يعني أن هناك اختلافا في تصور الفن للواقع، فالفن هو انعكاس للواقع، أي أنه يساعد في التعرف على الواقع، كما أنه أداة لتغييره، فالواقع إذن يبدو أكثر وضوحا في الأعمال الفنية على خلاف ما هو عليه في الحقيقة الواقعة.

وبهذا يكون للواقع صورة فنية تبدو أكثر كمالا من أصلها لأنها توضح ما بدا غامضا في معناه.

لقد ذهب **جورجي بليخانوف** *george pleqhanov* (1857 -1918) إلى أن الأدب والفن هما مرآة الحياة الاجتماعية ونتيجة الصراع الطبقي وما ينتج عنه من صراع الأفكار، فعوض أن يعكس الأديب في عمله صورة المجتمع كما هي في الواقع فإنه ينخرط في الصراع الإيديولوجي وأن الأديب ليس بالضرورة معبرا عن انتمائه الطبقي، إذ يمكنه تجاوز إيديولوجية طبقته عندما يعبر عن الواقع في أعماله الإبداعية، يعني أنه يمكن أن يتبنى إحدى إيديولوجيات الطبقات الأخرى التي لا ينتمي إليها (الحمداني.ج.66.2012) .

كما ترسخت فكرة النقد الاجتماعي على ضوء الفلسفة الماركسية مع الناقد السوفياتي (غريغوريفتش بلينسكي *Grigorevitch blinsky*) عند دعوته إلى التشديد على الرؤية الاجتماعية والتاريخية إلى الإبداع الفني من زاوية الجدل الطبقي ، ويرى هذا الناقد أن الشاعر القومي العظيم هو الذي بوسعه أن يتحدث بلغة الإقطاعي والنبيل والفلاح معا، فإن كان العمل الفني الذي أخذ موضوعه من حياة الطبقات الراقية لا يخدم الأدب القومي ، فإن هذا لا يعني ألا قيمة له فنيا، لأنه لا يمثل بصدق روح الواقع الاجتماعي، وبعده فلادمير لينين (*Vladimir lenin*) (1870– 1924) الذي عمل على تطوير الرؤية السوسيولوجية القائمة على الماركسية، داعيا إلى تحليل الإنتاج الاجتماعي باعتباره أساس الوجود برؤية علمية مادية جدلية تاريخية.

ويعد الناقد **جورج لوكاتش** (1971مـ1885) (*george Lukacs*) الذي سار على خطاه تلميذه **لوسيان غولدمان** (*Lucien Goldmann*) من أكبر منظري هذا الاتجاه. فأكبر حدث في تاريخ سوسيولوجيا الأدب ظهر مع مجيئهما عندما ركزا على وحدة العمل وبنيته، حيث أوجدا علاقة مشتركة بين البنى الذهنية التي تشكل الوعي الجمعي وبين البنى الشكلية والجمالية التي تشكل العمل الأدبي. بهذا المفهوم الجديد تحولت سوسيولوجيا المعرفة مع نظريات لوكاتش إلى تحليلات فعالة حول مجموعة من البنى الذهنية والنفسية رغم أنها لم تطرح طبيعة نشأتها، فقد اهتمت بالجوانب التاريخية والوعي الطبقي الفلسفي، إذ اعتبر لوكاتش البنى الذهنية كحقائق تجريبية تبلورت عبر التاريخ من قبل مجموعات اجتماعية وطبقات خاصة. (شحيدج . 1980 .28) . ومنذ ذلك ، تغيرت جذريا سوسيولوجيا الأدب، فلم يعد العمل الأدبي انعكاسا للوعي الجماعي ، كما أن العلاقة الأساسية لم تعد على مستوى المضمون بل على مستوى البناني.

وألح لوكاتش على ضرورة **التماثل البنيوي** بين الشكل والمضمون أي بين تطور الجنس الأدبي من الناحية الفنية و بين نضال الإنسان من الناحية الاجتماعية من أجل بناء مجتمع جديد، ومن المفاهيم التي أثارها لوكاتش وأخذت حيزا كبيرا في الدراسات النقدية ظاهرة المرآة، فهو يرفض الانعكاس الفوتوغرافي للحياة الاجتماعية بل يطالب بمعرفة عميقة حول هذا الواقع والحياة الاجتماعية ، "فالفنان الأصيل هو الذي يصيغ هذا الواقع في قالب فني متميز ينقل شكله الواقعي التاريخي في حركته الجدلية إلى عمل الأدب ليبين طبيعة العالم الحقيقية". (بركات. و .2005. 67)

إن لوكاتش يتحاشى المباشرة في الانعكاس ويدعو إلى التعمق في البحث عن العلاقة الحقيقية بين الذات الإنسانية والعالم الموضوعي. "والشكل عند لوكاتش ليس شيئا تقنيا أو لغويا كما هو لدى الشكلايين ومن بعدهم البنيويين، إنه بالأحرى القالب الجمالي المعطى للمضمون، أما اللغة عنده فهي وسيلة للتعبير عن الشكل المضموني لا أكثر ". (بركات. و. 67). فالكاتب هنا حسب لوكاتش لم يعد خالقا للشكل بل كاشفا له، وبالتالي لا يستطيع القارئ أن يفهم العمل الأدبي كبنيات فنية في علاقاتها بالمجتمع كفئات اجتماعية تتواصل وتتعايش فيما بينها.

تشير الدراسات النقدية الحديثة المتخصصة في هذا الاتجاه أن **لوسيان غولدمان** (*Lucien Goldmann*) (1913 -1970) سار على خطى أستاذه لوكاتش خاصة في مراحل كتاباته الأولى التي تميزت بها كتبه الثلاثة الشهيرة: (الروح والأشكال 1911) و (نظرية الرواية 1920) و(التاريخ و الوعي الطبقي*1923*). وعلى الرغم من الصداقة التي كانت تربطهما إلا أن ذلك لم يفقده روحه النقدية تجاهه ، فميز في كتبه بين ما هو هام وغير هام، كما أبدى بعض التحفظات على عدد من المقولات الأساسية، وأن الكثير من هذه الأفكار التي اقتبسها من لوكاتش كان الغرض منها ليست لتطبيقها على المجتمعات الأوروبية في القرن العشرين ، وإنما على المجتمع الفرنسي في القرن السابع عشر . كما يظهر في كتابه الإله الخفي (*le dieu caché*) 1956 (Goldmann. L.1959) الذي كان موضوع أطروحته عن الحركة الجانسينستية (*Jansenistes*) من خلال خواطر بليز باسكال (*Blaise pascal*) ومسرح جان راسين (*Jean racine*

) مشددا على الرؤية المأساوية التي أعطاها أبعادا معاصرة ، ومن كتابه "الماركسية والفلسفة والعلوم الإنسانية ". وفي معظم كتبه أعطى لوسيان غولدمان أهمية كبيرة لعامل الثقافة أو الفاعل الثقافي الذي يقصد به الفرد المتجاوز فرديته ، أي أنه ماثل في الجماعات البشرية والطبقات الاجتماعية التي تمارس دورها السياسي والثقافي في آن معا. (عصفور . ج . 2006 . 27)

يؤكد غولدمان أن موضوع الإبداع الحقيقي هو "الفئات الاجتماعية وليس الفرد المعزول والتطابق المنشود يحدث بين الرؤية الكونية المعبر عنها بالأثر الأدبي وبين الرؤية الكونية السائدة لدى الجماعة ، وليس بين بنية الأثر الأدبي وبين الحياة النفسية أو الفردية للأشخاص " (خشفة . م . ن . 1997 . 15) . فالأعمال الفنية أعمال فردية وجماعية في آن واحد، هي جماعية لأن الوعي الطبقي للمجموعة هو الذي ينطوي على مكونات **رؤية العالم** ***(la vision du monde)***) ، التي "تشكل جوهر الظاهرة الاجتماعية التي يدعوها علماء الاجتماع (الوعي الاجتماعي) "(غولدمان. ل. تر: قاضي. 2010. 25) ، هي أيضا فردية لأن الأديب الأصيل هو القادر على أخذ هذه المكونات ورفعها إلى أقصى درجة من التماسك كما أن بنية العمل المجاورة للفرد، تحاول إيجاد أبنية جديدة وتخلق توازنا جديدا، وهذا لا يتحقق إلا بهدم الأبنية القديمة لتعيد التوازن المفقود .

إن غولدمان "يتفق مع رولان بارت في دراسة البنية الداخلية للنص أولا ويتفق مع شارل مورون بضرورة دراسة الحياة الانفعالية للمؤلف ولكنه يتجاوزهما بالتأكيد على إدماج الأثر الأدبي ومؤلفهم في بنية أوسع هي البنية الاجتماعية والذهنية اللتين يمثلهما أو ينتمي إليهما" (خشفة .م. ن .15). وعلى

هذا النحو نجد أن السوسيولوجيا الجدلية تختلف عن السوسيولوجيا المضامين ، وأن هناك فرقا كبيرا بين الاتجاهين ، ففي الثانية يظهر العمل الفني كانعكاس حتمي للمجتمع، بينما يكون أساسيا في الأولى. ومن هنا نجد غولدمان : "يميز بين صنفين من الوعي : وعي قائم واقعي يفرزه الواقع في فترة معينة ناجم عن الماضي ومختلفة حيثياته وظروفه ، ووعي ممكن يتمثل فيما تفعله طبقة اجتماعية بعد أن تتعرض لمتغيرات مختلفة دون أن تفقد طابعها الطبقي" (شحيد. ج . 40) .

إذا كانت أعمال جولدمان تنطلق من مرجعية المادية الجدلية لمحاولة فهم ثوابت الثقافة الإنسانية في منهج شمولي ، معتمدا على مدونة ذات نصوص متنوعة منها السوسيولوجيا والرواية والشعر والمسرح ، يكون قد خلص "بأنه أثرى الثقافة بكل تفرعاتها إلا أنه لم ينج من انتقادات تخص بعض الجوانب الجمالية للنص الأدبـــي لأنه في رأي بعض النقاد كان أميل إلى الفكر والفلسفة منه إلى النواحي الجمالية من لغة وبلاغة وخيال ومتعة" (الأنطاكي . ي .26)

وهذا ما أشار إليه رولان بارت وبيير زيما *(Pierre Zima*) في انتقاده للمنهج التقليدي والمنهج البنيوي التكويني الذي يرى فيه عدم القدرة على تحليل النصوص في المستويين اللغوي والسردي ، "وكانت مرجعيته في هذا تستند على أفكار جان موركاروفسكي (*Mokarovski*) أحد أعضاء حلقة براغ التي كانت حريصة على ربط النصوص الأدبية في علاقاتها بالمجتمع بالمستويات اللغوية "(الأنطاكي . ي .26) .

ومن الأفكار التي رفضها زيما ظاهرة **الفاعل الجمعي** أي عندما نجعل القارئ يتحدث باسم الجماعة التي ينتمي إليها وباسم قيمها ، فإن

هذا لا يفيد، "لأن النص الأدبي لا يحي إلا بمقدرته المجددة ومحاصرته الدائمة للقيم والمعايير الجمالية السائدة ، لأن تغير الموضوع الجمالي مرهون بتحول الجمهور المتفاعل مع تلك المعايير والقيم "(zima.p.1979.24) . فكلما ظهر مدخل نقدي جديد تولدت عنه قراءات جديدة، تسهم في التحول اللانهائي للنصوص الأدبية وموضوعاتها الجمالية.

أما من حيث الامتداد فنجد النقد السوسيولوجي قد دخل إلى العالم العربي منذ الحرب العالمية الثانية . ظهر عند رواد كثيرين ، كانوا يشتغلون على الأدب من أمثال سلامة موسى الذي كتب كتاب بعنوان " الأدب للشعب" والذي يعد ملخصا لكل النظريات الاجتماعية التي تبناها في كل أعماله ، فيذهب إلى القول بأنه على : " الأديب العربي ، لكي يواكب الأدباء الغربيين وينفصل عن قبضة الأدب القديم ، أن يكتب للشعب بلغة الشعب المستطاعة ، وأن تكون شؤون الشعب موضوعات دراساته واهتمامه (موسى .س، 1961. 46 -47) . هذا يعني أن الأديب لكي يلحق بركب الغربيين يجب أن يكتب عن قضايا الشعب، ومع هذه الدعوة بدأ الفكر الاجتماعي يكتسح مجال النقد العربي.

وقد أكد طه حسين على صلة الأدب بالحياة الاجتماعية حين قال إن " الأدب يصور حياة الناس...فلا يكون أدبا حتى يصور حياة الناس وليس في الأرض أدب إلا وهو يصور حياة أصحابه. فكل أدبي في أي أمة من الأمم إنما يصور نوعا من أنواع حياتنا، ولونا من ألوان شعورها وذوقها وتفكيرها وانعكاس صورة حياة في نفوسها ، وأكبر الظن أن الذين يقولون يجب أن يكون الأدب للحياة وإنما يرون شيئا يحسونه في أعماق نفوسهم ولكن

عقولهم قد لا تحققه" (حسين ط.1980 .44) . وبهذا يكون طه حسين قد أكد العلاقة الوطيدة بين الأدب والواقع لأن الأدب لا يكون أدبا إن لم يعبر عن حياة الناس.

ويظهر في هذا السياق أصحاب التيار الماركسي الذين كانت لهم مساهمات متقدمة في تعميق الوعي للنقد السوسيولوجي ، ومن هؤلاء : محمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس في كتابهما المشترك " في الثقافة المصرية " 1955م الذي كان له دور الريادة في النقد الواقعي الماركسي في العالم العربي ، حيث كانت مسيرتهم النقدية لهذا المنهج الاجتماعي تقترب من المادية الجدلية التي نادت بها الفلسفة الماركسية. والناقد اليساري اللبناني حسين مروة الذي اعتبر عودة الرومانسية إلى الأدب العربي نكسة لأن العصر الحاضر في نظره هو عصر الواقعية الجديدة، فالفن هو نشاط اجتماعي إنساني ينبع من الفرد بوصفه كائنا اجتماعيا يمارس الحياة الاجتماعية وينفعل بأحداثها. (مروة.ح.1998 .62). وكذا الناقد "أمين الريحاني " الذي رأى بأنه على الأديب أن يغوص في عمق الحياة ولا ينغلق على نفسه وطالب"بصدق التجربة في معالجة قضايا الحياة "(عكاشة.ش.1994. 78) فالأديب في نظره مصلح اجتماعي عليه أن يؤدي دوره بكل أمانة .

أما في النقد المعاصر فقد ظهرت اتجاهات نقدية تعاملت مع المستجدات النقدية الغربية أمثال الناقد "**الرشيد بوشعير** "الذي أصدر كتابا " عن الواقعية وتياراتها في الآداب السردية الأوروبية " سنة 1996 ، حيث تناول فيه الواقعية تعريفا ونشأة وتطورا ثم تعرض – بعد ذلك – لأنواع الواقعية وقد قسمها إلى واقعية نقدية وأخرى طبيعية وتالية اشتراكية . وما

يميز هذه الدراسة أن صاحبها يوثق ما يذهب إليه بالأمثلة من أعمال كبار الكتاب الواقعيين الغربيين كبلزاك ، ودوستوفيسكي ، وغوركي وشولوخوف وغيرهم . (بوشعير. ر. 1996. 39 . 40)

ويجيء **فيصل دراج** الذي أتضح اهتمامه بالمنهج الاجتماعي من خلال العديد من أعماله ، مثل كتابه " الواقع والمثال : مساهمات في علاقات الأدب والسياسة " ، وكتاب " دلالات العلاقات الروائية " الذي يعد " أكمل محاولة نقدية لتحليل النقد الواقعي الإيديولوجي من منظورات علمية مواكبة للتحولات التي طالت النظرية الأدبية والنقد في الفكر الماركسي كما عند جورج لوكاتش وميخائيل باختين " (أبو هيف . ع.الله .2001. 343) .

ويبرز الباحث في هذا السياق الطاهر لبيب في كتابه " سوسيولوجيا الغزل العربي : الشعر العذري أنموذجا " والذي تجلت فيه عناصر المنهج الاجتماعي ، أو بالأحرى المنهج البنيوي التكويني لما تناوله في هذه القراءة لأهم العناصر الأساسية المحيطة بالظاهرة الاجتماعية العذرية العربية . فموضوع الباحث في هذا الكتاب هو " تحديد الأثر الأدبي من الداخل ، وقد أفضى به هذا التحليل إلى ملاحظة وتدوين " رؤية خاصة للعالم " عند جماعة العذريين ، وكأنها نواة وعي أو شعور جمعي لمجموعة اجتماعية ، مشخصة كانت قد عاشت في شروط مادية خاصة " (عزام . م .2003. 263) .

ثانيا : النقد الاجتماعي في المدونة النقدية الجزائرية بين التنظير والانجاز

إن المستقرئ للدراسات النقدية الجزائرية ابتداء من أواخر السبعينيات يتبين له هيمنة الاتجاهات السوسيولوجية في الكتابات النقدية التي ازدهرت في تلك الفترة. وقد تزامن هذا المد مع تبني النظام السياسي في الجزائر للايدولوجيا الاشتراكية كنظام حكم والذي ولد الثورات الثلاث (الزراعية/ الصناعية/ الثقافية)، فراح النقاد يدعون إلى تبني البعد الاجتماعي في النص الأدبي وأصبحت مقارباتهم لأي نص – تقريبا - تنطلق من هذه الرؤية (أي مدى التزام المبدع في نصه بالرؤية الاجتماعية)، ومدى مواكبته لهذه التحولات خاصة -الاجتماعية – التي تشهدها البلاد.

فقد وقعت العديد من الأعمال الأدبية تحت تأثير هذا الخطاب السياسي سواء باختيار إرادي أو بفرض إجباري على ضرورة مسايرة النظام السائد بغية الحصول على أحقية الوجود على الساحة الأدبية أو النقدية، فانحصرت لغة النقد في هذه الفترة على المعجم النقدي الاجتماعي (نضال - ثورة - طبقية - التزام -تحدي - صراع - معركة - إقطاعية - برجوازية....). وبالتالي ظهرت إلى الوجود أقلام نقدية تحاول الوصول إلى البعد الاجتماعي والسياسي من خلال العمل الأدبي، وتدعو إلى ضرورة تجسيد الرؤى الاجتماعية والسياسية داخل الأعمال الأدبية. فتوفيق الأديب أو إخفاقه مرهون بمدى هضمه للواقع بمعطياته الفكرية والسياسية.

وارتباط الأدب بالواقع وبتناول قضايا العصر، مسألة لا يمكن تجاوزها أبدا، لذلك نجد الناقد **عبد المالك مرتاض** يؤكد على ضرورة توفرها إذ " ليس هناك كاتب واحد في العالم، جاء يكتب من أجل شيء غير التعبير عن الواقع" (مرتاض .ع.م.110.2002). فالأديب داخل هذا التوجه

النقدي مطالب بإبراز حياة مجتمعه وشؤون عصره، وهذا ما تحدث عنه العديد من النقاد الجزائريين داخل الأدب. ووسط كل هذا ظهر كم نقدي معتبر ضمن هذا الحيز المنهجي ، فمنهم من وقفوا على التنظير لهذا المنهج النقدي، ومنهم من جمعوا بين التنظير والتطبيق في مقارباتهم النقدية .

ومن أبرز أقطاب الاتجاه السوسيولوحي في النقد الجزائري المعاصر الناقد "**محمد مصايف**" الذي كان أهم ناقد في المرحلة الذي استأنس بالمنهج الاجتماعي التقليدي ، إيمانا منه بالرسالة الاجتماعية للأدب، حيث دعا إلى ضرورة الالتزام بالقضايا الاجتماعية والتعبير عنها، وفي المقابل عدم إهمال الجانب الفني الذي يبقي على قيمة الأدب وتميزه، وإن تفضيل مصايف للمنهج الاجتماعي يبدو واضحا من قوله: " فالقضية عندي ليست شعارات أختبئ وراءها، وإنما هي مواقف أدبية مدروسة تنظر إلى الأدب على أنه أدب، لا على أنه وثيقة سياسية تعبر عن نزعة برجوازية أو ماركسية فقط، فالأدب عندي ظاهرة اجتماعية وحضارية بالدرجة الأولى، وفي هذا الإطار أدرسه غير متغافل عن جانبه الفني والتقني. ولا أرى لي أي حق في أن أنوب عن الأديب في التعبير عما لم يرد التعبير عنه، وأرى لي كل الحق في تحديد اتجاهه ومضمونه الاجتماعي في إطار المذهب الذي يؤمن به ...." (مصايف .م.36.1981).

لقد فرضت مواقف مصايف أن يوجه قلمه لخدمة المجتمع للإسهام فعليا لا بالأقوال في العمل على النهوض بالمجتمع ووصله بركب الحضارة، وعندما يدعو إليه الأدباء، فرسالته هو الآخر يجب أن تكون لخدمة الطبقة الكادحة والتي تمثل السواد الأعظم من المجتمع. وهنا يقول مخاطبا الناقد الجزائري: «ينبغي أن يذكر أن بلادنا تخوض ثورة اجتماعية قاسية ليست

أقل أهمية من الثورة المسلحة ... وفي تحديده للاتجاه العام - الآنف – ينبغي ألا يغفل الجانب الاجتماعي في أعمال الأدباء، فيبين العلاقة التي تربط بين هذه الأعمال وبين تطلعات المجتمع، ومدى خدمة هذه الأعمال لآمال الطبقات العاملة المحرومة، فتحديد الناقد للاتجاه العام لا ينبغي أن يكون حياديا، بل ينبغي أن يمتحن مدى التزام الأديب بقضايا المجتمع....» (مصايف . م . 22).

ومن الباحثين الجزائريين الذين كانت لهم إنجازات نقدية طبعت المرحلة، الناقد " **أحمد طالب**" في مدونته الموسومة بـ "الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة"، والذي رأى " بضرورة تكامل الشكل مع المضمون داخل العمل الأدبي حتى يشتمل على اللذة والمنفعة في آن واحد... فالالتزام بالقضية مع الاهتمام بالجانب الفني داخل الأعمال الأدبية يجعلها أكثر وقعا وتأثيرا " (طالب.أ.22.1989). ورأى بأنه إن كان بعض كتاب القصة قد اهتموا بالتسجيل الفوتوغرافي للواقع فجاءت رؤيتهم ضبابية ضعيفة، إلا أن البعض الآخر لجأ إلى الوسائل الفنية الحديثة لتجنب المباشرة الصريحة في عرض الفكرة.

ويطل علينا **عبد الله الركيبي** بكتابه الهام " الشعر الديني الجزائري الحديث،" الذي ينحو فيه إلى المنهج الاجتماعي ، ويتمظهر ذلك من خلال تركيز الدراسة على العوامل الاجتماعية التي أسهمت في تفسيره لبروز ظاهرة الشعر الديني، إذ يعتبر الركيبي " الشعر نشاط إنساني يعكس مايجري في بيئة الشاعر من أحداث ووقائع ومفاهيم" (الركيبي.ع.الله.08.1981). فضلا عن كتابيه "قضايا عربية في الشعر الجزائري

المعاصر" و" الأوراس في الشعر العربي " وهي من الدراسات التي يمكن إدراجها ضمن الاتجاه السوسيولوجي لدراسة الأدب ، ولو أن هذه الدراسات التي أومأنا إليها لم تتبن القراءة السوسيولوجية وفق ضوابطها المنهجية الصارمة.

في ذات السياق تطفو مقاربة الباحثة 'زينب الأعوج الموسومة "السمات الواقعية للتجربة الشعرية في الجزائر " سنة 1985 ، والتي ركزت فيها الباحثة على إبراز البعد الاجتماعي للرسالة التي يؤديها الشاعر الحقيقي، "الذي تكلم بلسان الأكثرية معبرا عن مشاكلها وآلامها سابرا أغوار مطامحها، وهو الذي ينتمي بحكم إبداعه ومواقفه إلى الجماهير الكادحة ، وليس إلى الأقلية التي تمتص عرق هذه الجماهير وتستغلها " (الأعوج.ز.1985.69). ومن هنا تطرح الباحثة **قضية الالتزام** في الشعر والأدب عموما، والتي تعد من أهم القضايا الأساسية التي يطرحها النقد الاجتماعي.

ومن الدراسات النقدية الجزائرية التي يمكن تصنيفها ضمن الدراسات النقدية التي تبنيت القراءة السوسيولوجية ، دراستي : **مخلوف عامر** المعنونتين :"تطلعات إلى الغد" سنة 1982 و" تجارب صغيرة وقضايا كبيرة" سنة 1984 اللتين أشار فيهما إلى قضايا ذات الصلة بالمنهج الاجتماعي سواء تعلق الأمر بمسائل تتصل بالتنظير، أو من خلال الممارسة النقدية التي أسقطها على نصوص سردية, وتحضر في السياق دراسات نقدية أخرى تبنت القراءة السوسيولوجية، ونذكر منها نماذج ، حسب الترتيب الكرونولوجي : (الحضور) لـ ' عمر أزراج ' سنة 1983، وكتاب (لحظة وعي ومقالات نقدية) لـ ' محمد بوشحيط 'سنة 1984، و(دراسات في القصة

الجزائرية القصيرة والطويلة) لـ' عمر بن قينة سنة 1986م، وكتاب مصطفى فاسي (البطل في القصة التونسية) سنة 1989 وغيرها من الدراسات النقدية التي اهتمت بالتوجه الاجتماعي.

وإذا كانت الدراسات النقدية السابقة قد انحازت إلى التنظير أو على الأقل قلة اكتراثها بالمسائل التطبيقية ، فإننا نجد فئة من الباحثين وازنت بين التنظير والإنجاز ، ومن ذلك نذكر : **واسيني الأعرج** ، الذي يعد من أبرز النقاد الجزائريين، أكثر اهتماما بمسائل تتصل بالتنظير للمنهج الاجتماعي لجهازه المفاهيمي " conceptuel "، فكتابه "**اتجاهات الرواية العربية في الجزائر**" أول دراسة منهجية منظمة للرواية الجزائرية في ضوء التصور الاجتماعي (الواقعي) (وغليسي.ي.50). وقد ركز في هذه المدونة النقدية على تجسيد الاختيار الإيديولوجي الاشتراكي داخل الأعمال الإبداعية ، لهذا السبب رأى بأنه "لا يمكن دراسة أعماله الإبداعية (الكاتب) بمعزل عن الخلفية الاجتماعية والسياسية والثقافية التي أفرزتها أو على الأقل ساهمت في تشكيلها بصورة ما" (الأعرج.و.07.1986)

وقد حدد الباحث أربع اتجاهات للرواية الجزائرية : (الاتجاه الإصلاحي، والاتجاه الرومانتيكي، والاتجاه الواقعي النقدي، والاتجاه الواقعي الاشتراكي)، وما يهمنا في هذه الوقفة هو الاتجاهان الأخيران: " "فبعد أن يخص الاتجاه الواقعي النقدي بفرش تاريخي نظري عبر النقد العالمي والعربي منذ بداية القرن التاسع عشر في أوروبا مع (غوستاف بلانش) و(بلزاك) و(جورج لوكاتش) و(تولستوي)، يمر إلى تجليات الواقعية النقدية في الرواية الجزائرية. ليعرض علينا طائفة من الروايات التي اهتمت بذلك،

ومقابل ظهور هذا الاتجاه النقدي في أوروبا بمعارضة للرومانتيكية، فإن الأمر يختلف في الجزائر، فقد ظهر بسبب السياسة الاستعمارية المبنية على الاستغلال والبورجوازية، إضافة إلى محاربة الثقافة والهوية الجزائرية". (الأعرج . و .343 -358)

ويعتقد الناقد أن هذا الاتجاه بدأ في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية فترة الأربعينيات والخمسينيات، خاصة مع (مالك واري) في رواية الحبة في الطاحونة (*Le Grain Dans La Meule*)، والتي أصدرت بباريس سنة 1956، والتي تصور الحياة اليومية لقرية قبائلية قبل أن يحتلها الفرنسيون، مع تصوير دقيق لعادات وطبائع هذا المجتمع، إضافة إلى كل من (مولود فرعون ومحمد ديب) اللذان وصفا الحياة اليومية البئيسة للجزائريين، والتي كان الاستعمار سببا فيها، ليتحول إثر ذلك إلى الرواية المكتوبة بالعربية، وسنأخذ نموذجا من مجموعة من النماذج التي قدمها وهي "رواية (ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة)، والتي تتناول الفترة التي سبقت إصدار قانون الثورة الزراعية بقليل، وهي تصور أوضاع الفلاحين البؤساء وصغار الملاكين في ظل الهيمنة الإقطاعية." (المرجع نفسه . 358)

إن هذه الرؤية – في نظر الناقد - هي أصدق الأعمال الإبداعية التي تنضوي تحت اتجاه النقد الواقعي، لنضوجها من جهة، ولاقترابها من الأوضاع الاجتماعية التي صاحبت ألعاب الإقطاع من أجل الحفاظ على مصالحه، فهو مستعد للتحالف مع الشيطان من أجل ألا تمس أراضيه من طرف قوانين الإصلاح الزراعي. ويحلل هذه الرواية تحليلا وافيا بالأمثلة وفقا للنقد الاجتماعي، ويلخص ذلك في الصراع الذي تعانيه شخصية (ابن القاضي) الإقطاعي الجشع، فبعد أن ضيع زمام المبادرة بانتشار الوعي لدى

كل طبقات الشعب خاصة الكادحة، أراد في النهاية أن يدعو إلى مصالحة طبقية، ولكن في ظل العلاقات الإنتاجية الإقطاعية، والتي تحافظ على السيد سيدا والعبد عبدا (المرجع السابق 388 - 389). و الخلاصة التي خرج بها الناقد من هذه الرواية بأنها – وبهذه المعاني الاجتماعية المختلفة – تحمل رؤية واضحة تشير إلى الغد ، وتتضمن صراعا خصبا يفضي بالضرورة إلى التطور والتقدم ، كونها غير منغلقة على الرواية الاجتماعية ،إنها تبصر بالواقع (المرجع السابق . 398) .

أما الاتجاه الواقعي الاشتراكي، فبدأه ببسط تنظيري لهذا الاتجاه في النقد والإبداع العالميين، وعرض لأعلامه خاصة لدى (جوركي، ومايكوفسكي، وشولوخوف، وناظم حكمت، وأراغون) وغيرهم. "وهو النتاج الشرعي للتاريخ البشري في تطوره، فالنكبات والاضطرابات الثورية التي أصابت العالم قد أدت إلى ولادة الواقعية الاشتراكية". (المرجع نفسه .472)

بعد ذلك أنجز الباحث قراءة وفق هذا المنهج على مجموعة من الروايات الجزائرية اخترنا منها رواية (الزلزال) لنكتشف نزوعه الاجتماعي في الاشتغال عليها، ويرى أن هذه الرواية تعبر عن التحولات الزراعية التي حدثت في الجزائر بكل ما يمكن أن يمنهج الكتابة عن الواقعية الاشتراكية من إمكانيات فنية للتعبير، وبعد عرض موجز لمحتوى الرواية، "يستنتج أن (وطار) أراد أن يجبر قارئه على الوقوف وجها لوجه أمام واقع طبقي قاس، وهو بروايته الواقعية الاشتراكية لا يتوانى – لحظة واحدة - أن يضع كل شيء في خانته التي يجب أن يكون فيها، والثورة الزراعية التي يجسدها (وطار) في (الزلزال) هي الوجه المشرف لهذه النضالات التي قادها

الفلاحون في الجزائر على كافة المستويات من 1830 إلى 1954، مرورا بكل الثورات الشعبية والتي استطاع الاستعمار إجهاضها". (المرجع السابق .491)

وبالاستشهاد من الرواية يقدم (لواسيني الأعرج) قراءة اجتماعية متميزة مستعينا بمعطيات هذا المنهج النظرية والإجرائية ، والدراسة ككل كانت وفية للمنهج الاجتماعي عموما، " فنجد الناقد يؤسس لهذا المنهج بطرح معطياته ومرتكزاته المعرفية ، النظرية والتطبيقية، بوعي بالمعطيات الابستمولوجية لدى أقطابها في الغرب، ثم يقوم بإسقاط هذه النظريات على النص الروائي الجزائري بطريقة تنم عن معرفة جيدة بهذا المنهج، وبطريقة إسقاطه على النص الجزائري . عكس محمد مصايف والذي كثيرا ما تغيب عنه المعرفة النظرية بهذا المنهج في أصولها الغربية". (خلف الله. بن ع .2011 -2012. 85 -86)

أما الناقد **محمد ساري**، كانت له قراءة أخرى تمظهرت في كتابه (البحث عن النقد الأدبي الجديد) الصادر سنة 1984، فقد أفاد – وفي إطار المنهج الاجتماعي – من طروحات (جورج لوكاتش وغوركي)، ومن المنظرين الروس لهذا المنهج إلا أن ما يلاحظ على الناقد قناعته بأن هذا المنهج غير كاف لوحده، على الأقل في الاقتراب من النص الأدبي، ففي ثنايا قراءته لرواية (الليل ينتحر) لبكير بوراس وجدناه يشير إلى أن هذه الرواية تعاني نقصا فنيا كبيرا، والذي حلت مكانه الشعائرية والسطحية، ويرى أن معظم ما كتبه الاشتراكيون يمكن أن يصنف ضمن هذا الإطار، وهذه الكتابات - في رأيه – "لا تعدو أن تكون خطابات سياسية جزئية، وتحقيقات صحفية بعيدة كل البعد عن الفن القصصي، وعن خلق فني

روائي أصيل" (ساري.م.1984.108). وكما أشرنا فرؤية الناقد كانت – في هذا الكتاب - أقرب إلى دراسة الجانب الفني من القراءة الاجتماعية .

ولقد سلط محمد ساري الضوء في القسم الأخير من هذا الكتاب على الجانب التطبيقي للمنهج الاجتماعي بحيث طبقه على النقد الجزائري الجديد " الإشكالية في رواية "**العشق والموت في الزمن الحراشي**" للطاهر وطار، وكذلك القصة القصيرة الجزائرية، حيث ناقش في دراسة أخرى له " النقد الأدبي مناهجه وتطبيقاته عند محمد مصايف"، كتاب القصة القصيرة في عهد الاستقلال للناقد الجزائري محمد مصايف، فأخذ عليه فصله بين "الشكل" و "المضمون"، وحديثه عن القصة وكأنما هي وثيقة اجتماعية وسياسية، وإهماله العناصر الفنية للقصة. ثم ختم دراسته بفصل عن "النماذج القصصية" عرض فيه "الليل ينتحر"، " الجراد المر"، " التفكيك" و"التلميذ والدرس" و"الشمس تشرق على الجميع" و"الزلزال" (ساري.م.1992.72). وما يستدعي التوقف في هذا السياق خروج "محمد ساري" عن القراءة التقليدية للمنهج السوسيولوجي ،إذ نجد يطور اهتماماته في دراساته النقدية للنصوص الإبداعية بالمنهج البنيوي التكويني الذي يجمع بين الشكل والمضمون ، و كان للمنهج الاجتماعي إلا وأن ينحل في مضامينه ويغوص في مكامنه. (عزام . م .262 -263)

يمكن القول إن المنهج الاجتماعي قد أخذ حظا وافرا في الدراسات النقدية الجزائرية، التي اهتمت بتتبع المراحل الاجتماعية التي مرت بها الجزائر خلال الحقب الزمنية المختلفة، التي خلفت بما عرفته من أحداث متتالية ، كما أن عددا معتبرا من الأعمال الأدبية تناولت الواقع

بمختلف تمظهراته ، لتخلق بذلك أرضية سهلت على النقد الاجتماعي تطبيق آلياته ومفاهيمه في تحليله لها، وقد شكلت الرواية العربية الجزائرية أحد أهم هذه الأعمال التي طبقت عليها الدراسة الاجتماعية ، باعتبارها أصدق الأجناس الأدبية تعبيرا عن الواقع. (وغليسي . ي .59 -60)

ويبدو أن المنهج الاجتماعي الإيديولوجي للنقد، قد انكمش بسبب تحول النقاد الجزائريين إلى المناهج النسقية مع القراءة الألسنية والتي بدأت تكتسح الساحة النقدية الجزائرية بداية ثمانينات القرن الماضي. لأن أهم ما يلفت الأنظار أثناء تتبع الدراسات النقدية السياقية التي يعد المنهج الاجتماعي واحدا منها، " أنها قد غيبت كليا الجانب الفني الجمالي للأعمال الإبداعية ، لتولي اهتماما للعوامل الخارجية المحيطة به والتي ساهمت في إنتاجه، وتحاول إضافة إلى ذلك البحث عن مختلف الجوانب التاريخية والاجتماعية ، والنفسية التي تضمنتها هذه الأعمال الأدبية". (خلف الله. بن ع . 90)

وإذا كانت المناهج السياقية قد قصرت في التعامل مع النص الأدبي باعتباره بنية قائمة بذاته خلال فترة هيمنتها على المجال النقدي، فقد اتجهت المناهج النسقية الحديثة إلى وضع النص الأدبي تحت منظار الدراسة والتحليل النصي ، باعتباره المعطى الأساسي الذي يجب الاهتمام به. لتأتي بعد ذلك البنيوية التكوينية والسوسيوبنائية التي تنادي بضرورة الجمع بين الجانب الشكلي والمضموني في دراسة العمل الأدبي.

ويعد الناقد **مختار حبار**" من النقاد البارزين الذي عرف بمنتهى المرونة كيف يؤلف في دراسته " شعر أبي مدين التلمساني – الرؤية والتشكيل – بين المنهج السوسيولوجي والمنهج الأسلوبي. وفي هذا السياق

فيقول : " وقراءتنا للقصيدة الصوفية عموما ولشعر أبي مدين خصوصا تندرج في هذا السياق ، وتفيد من مناهج الدراسات التطبيقية ، كما تفيد من روح منهج البنيوية التكوينية للفرنسي " لوسيان غولدمان " والذي يرى أن ما من عمل أدبي إلا و يتضمن رؤية معينة للعالم تنتظمه في جملته وأجزائه ، وعمدنا في ذلك الدراسة التطبيقية التي قام بها الطاهر لبيب على الشعراء العذريين والتي حاول من خلالها أن يصل إلى المنابع والأصول الاجتماعية والثقافية التي كانت وراء صنع الظاهرة العذرية صنعا فريدا ومتميزا عن جملة الشعر العربي " (حبار .م.2002. 21) .

أما الباحث **صدار نور الدين**" في كتابه " البنيوية التكوينية مقاربة نقدية في التنظير والإنجاز" فقد طفق بالتنظير والتطبيق في آن واحد ، فكانت له قراءة على رواية فوضى الأشياء لرشيد بوجدرة ، وفي شعر أبي العلاء المعري ، والأمير عبد القادر ، ليجعل نصب عينيه رؤية المبدع إلى العالم . وهذه هي المسطرة التي ' وضعها 'نورالدين صدار' لقراءته ،والتي حددتها في غايتين : " فأما الأولى فهي السعي لتقديم معرفة نظرية عن منهج البنيوية التكوينية بإتباع أصوله ومرجعياته الفكرية ومقولاته وآلياته الإجرائية ، والغاية الثانية هي اختبار هذا المنهج من خلال تطبيقه على التراث العربي قديمه وحديثه ، مع تليين بعض آلياته حسب ما تقتضيه طبيعة النص الأدبي " (صدار . ن . 2013. 3)

.

ويظهر في هذا السياق كتاب: " الايدولوجيا وبنية الخطاب الروائي" ل**عمر عيلان،** الذي حاول فيه أن يمارس نقدا سوسيو بنائيا على نصوص عبد الحميد بن هدوقة، فلقد كانت مساهمته في التنظير والممارسة النقدية.

إذ تعاطى في هذه الدراسة مع مفاهيم ومقولات الخطاب النقدي السوسيولوجي سواء من حيث أصوله المعرفية والفلسفية أو من حيث مساراته السوسيو نقدية، كما أفصح بجدية عن سبيله النقدي في هذه الدراسة النقدية، "بحيث أشار في البداية إلى علاقة علم اجتماع الأدب بالظاهرة الأدبية وإلى بعض الإسهامات النظرية العربية التي تندرج ضمن ما سماه "تودروف" بنقد النقد، ثم انتقل بعد ذلك ليبين إسهام النقد الغولدماني وسط هذه المدارس والنظريات النقدية المختلفة. إذ حاول أن يعطي قراءة وتوضيحا لخطاب النقد البنيوي التكويني الغولدماني خاصة الجهاز الإجرائي لبقية المقولات النقدية السوسيولوجية، أما على مستوى الجانب التطبيقي في دراسته فقد خصصه للتحليل البنيوي التكويني لنصوص روايات عبد الحميد بن هدوقة". (عيلان . ن 2001)

ومن ثم رسم رؤية للعالم في الروايات من خلال تلمسه لأنماط الوعي الثلاثة المتمفصلة في ثنايا نصوص بن هدوقة، كتحديده لمسارات الوعي الممكن في نص رواية "نهاية الأمس" فقد تمكن إلى حد ما تلمس جزئيات الوعي الممكن ، ليصل إلى استكمال دلالة الفكرة من جهة وبناء رؤية العالم في نص الرواية من جهة أخرى، أما في بقية النصوص الروائية الأخرى، فلقد تلمس مظاهر الوعي الخاطئ والوعي الكائن وهو في ذلك يعتمد القراءة التفسيرية والتأويلية التي أقرها غولدمان.(عيلان .ع . 2001. 50ـ 102).

وعلى العموم فإن محاولة عمر عيلان ، قد راوحت بين التحليل الشكلي من جهة والتحليل الاجتماعي من جهة أخرى . فهذه الدراسة على الرغم من عدم احتكامها لمنهجية واضحة المعالم إلا أنها أسست بطريقة أو

بأخرى ميلاد خطاب نقدي سوسيولوجي ضمن مسار الحركة النقدية الجزائرية. (بركان .س 2013 . 157)

وقبل هذا حاول الباحث السوسيولوجي **عمار بلحسن** التأسيس للاتجاه السوسيولوجي من خلال مساهماته، أبرزها كتابه الموسوم بـ:" **الأدب والايدولوجيا**" وهي كتيب صغير يعد مرجعا لا يخلو من أهمية في التنظير للأدب والأيديولوجيا في ضوء القراءة السوسيولوجية ، تلتها ترجمة له لبعض الرؤى النقدية التي نادى بها " بيير زيما" في مجال النقد السوسيونصي .

كشف الاستقراء الحثيث للمدونة النقدية الجزائرية المعاصرة **التي** تبنت الاتجاه الاجتماعي بوصفه ممارسة نقدية توطنت في الفضاء الثقافي الجزائري منذ سبعينيات القرن الماضي ، إلى اليوم ,وقد تمخضت الممارسة النقدية لهذا الاتجاه بوصفها منهجا نقديا عن بروز ثلاث اتجاهات نقدية ،هي: **'الاتجاه الاجتماعي التقليدي'** الذي شكل الأداة القرائية التي هيمنت على الأعمال السردية , ثم برز الاتجاه الثاني المتمثل في **' البنيوية التكوينية** 'التي زاوجت بين التنظير والإنجاز ، جامعة في قراءتها بين الأعمال السردية ، والأعمال الشعرية على حد سواء ، وكان أخيرا الاتجاه' **السوسيو نقد'** الذي بدأ يحضى بالاهتمام منذ فترة ليست بالقصيرة,

خاتمـــــــــة :

عرف المنهج الاجتماعي اهتماما خاصا في الكتابات النقدية الحديثة والمعاصرة التي اهتمت بدراسة الأعمال الأدبية ، رامية كل ثقلها على

تقصي الجانب ألمضموني فيها بوصفه الجانب المركزي الذي يكشف عن كل ما هو أيديولوجي في الأعمال السردية بوصفها الأعمال الإبداعية الأكثر بروزا ,,, والأكثر انسجاما مع كل ما هو أيديولوجي، ,,, والأكثر تصويرا للواقع الاجتماعي .

ومن هنا توصلت إلى جملة من النتائج التي أشير إليها في العناصر الآتية :

- إن ارتباط النص الأدبي بالواقع سهل على النقد الاجتماعي مهمة الولوج إلى عالمه لأجل تقصي حقيقته، فكلاهما مرتبط بالواقع بمختلف أوجهه، فإذا كانت الظاهرة الأدبية تسعى إلى تجسيده فإن النقد الاجتماعي يسعى إلى الوقوف عليه داخلها .
- إن القراءة السوسيولوجية قد تعاملت مع النص باعتباره وثيقة تبريرية سعت من خلالها إلى البحث عن حقائق اجتماعية إيديولوجية، تبناها الكتاب أو الزمرة التي ينتمون إليها على اختلاف توجهاتهم وأيديولوجياتهم.
- إن الظروف الاجتماعية المكتظة بالأحداث سهلت مهمة استخدام المنهج الاجتماعي، الذي كان يظهر في أغلبية الأحيان موقف النقاد المحدثين من القضايا الاجتماعية َ وتوجهاتهم الفكرية والإيديولوجية.
- هيمن هذا النوع من النقد على الخطاب النقدي الجزائري خلال فترة السبعينات ، ولكن ما سرعان ما أخذ يتراجع تحت وطأة النقد ألألسني الجديد.
- النصوص السردية قد أخذت حظا وافرا من خلال تطبيق هذا المنهج عليها، في حين كان التطبيق على النصوص الشعرية أقل

كمية عن سابقه، واو أنها وجدت ضالتها في الاتجاهات الأخرى وخصوصا البنيوية التكوينية .

- آمن أصحاب هذا المنهج الاجتماعي بضرورة تكامل الشكل والمضمون أثناء عملية قراءة وتحليل النصوص ، ولكن هذا الإيمان لم ينعكس على أعمالهم التطبيقية، حيث كان الاهتمام بالجانب ألمضموني أثناء التحليل على حساب الجانب الشكلي والجمالي للعمل الأدبي .

قائمة المصادر والمراجع :

1- **العربية**:

- الأعوج . زينب (1985). السمات الواقعية للتجربة الشعرية في الجزائر . ط1 . دار الحداثة . بيروت .
- الأعرج . لواسيني .(1981). اتجاهات الرواية العربية في الجزائر . دط .المؤسسة الوطنية للكتاب .الجزائر.
- الأنطاكي . يوسف (2009) .الآليات و الخلفية الإبستيمولوجيا . دط . دار الرؤية. القاهرة .
- الحسين . قصي (2009) . سوسيو لوجيا الأدب . دط. دار البحار. بيروت .
- الخليل . إبراهيم محمود (2003، 1424). النقد الأدبي الحديث "من المحاكاة إلى التفكيك" . ط1. دار المسيرة .عمان . الأردن .
- الركيبي . عبد الله (1981) . الشعر الديني الجزائري الحديث .د.ط. الشركة الوطنية للنشر و التوزيع .الجزائر.
- الماضي . شكري عزيز (1998 -1419).محاضرات في نظرية الأدب .ط1. دار البحث . الجزائر .
- بركات . وائل . (2005) . اتجاهات نقدية حديثة و معاصرة . دط . جامعة دمشق . سوريا .

- بوشعير . الرشيد .(1996). الواقعية وتياراتها في الآداب السردية الأوروبية . الآهالي للطباعة والنشر . دمشق . سوريا . دط .
- حسين. طه (1980) . خصام و نقد . ط10 . دار العلم للملايين . لبنان .
- خشفة . محمد نديم (1997) . تأصيل النص . دط . مركز الإنماء الحضاري . حلب .
- ساري . محمد (1984) . البحث عن النقد الأدبي الجديد . ط1. دار الحداثة . بيروت . لبنان .
- شحيد . جمال (1980) . البنيوية التكوينية " سوسيولوجيا الأدب ". دط. وزارة الثقافة . دمشق .
- طالب . أحمد (1989).الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة (في الفترة ما بين 1931، 1976) . دط . ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر .
- طاليس . أرسطو. تر: شكري . عياد .(1967) . فن الشعر . دط .دار الكاتب . القاهرة .
- عبد الرحمن . نصرت (2007 ، 1426) . في النقد الحديث "دراسة في مذاهب نقدية حديثة و أصولها الفكرية . ط1 . دار هجينة . عمان .
- عزام . محمد (2003) . تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية – دراسة في نقد النقد – دط . منشورات اتحاد الكتاب العرب . دمشق .
- عكاشة . شايف (1994) . نظرية الأدب في النقد التأثري العربي المعاصر . نظرية التعبير . ج 1 . دط. ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر.
- عيلان . عمر (2001) الايدولوجيا و بنية الخطاب الروائي . ط1. منشورات جامعة منتوري . قسنطينة .
- فضل . صلاح (1996) . مناهج النقد المعاصر . دط . دار الآفاق العربية . القاهرة . مصر .
- لحميداني . حميد (2012) . الفكر النقدي الأدبي المعاصر . ط2. أنفو ., المغرب ,
- مرتاض . عبد الملك (2002) . في نظرية الأدب . دط. دار هومة . الجزائر .
- مرزوق . حلمي (1983) . الرومانتيكية و الواقعية (الأصول الإيديولوجية) . دط . دار النهضة العربية للطباعة . بيروت .

- مروة. حسين (1998) . دراسات نقدية في ضوء المجتمع الواقعي . دط. مكتبة المعارف . بيروت . لبنان .
- مصايف. محمد (1981). فصول في النقد الأدبي الجزائري الحديث. ط2. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر.
- موسى . سلامة (1961) . الأدب للشعب . دط. مؤسسة الخانجي .مصر .
- هويدي . صالح (1426) النقد الأدبي الحديث " قضاياه و مناهجه ". ط1. منشورات السابع من أبريل .
- وغليسي . يوسف (2002) . النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية . دط. إصدارات رابطة الإبداع الثقافية . الجزائر.

2- **المترجمة**:

- ايجليتون . تيري . تر : عصفور . جابر (1986) . الماركسية (النقد الأدبي). ط 2 . دار قرطبة . الدار البيضاء . المغرب .
- سلدن . رامان . تر : عصفور . جابر (1998) النظرية الأدبية المعاصرة . دط. دار قباء . القاهرة .
- غولدمان . لوسيان . تر : زبيدة قاضي . (2010) . الإله الخفي . دط . الهيئة العامة السورية للكتاب . دمشق .

3- **الأجنبية**:

- *Goldmann . lucien (1959) le dieu caché . Editions Gallimard.*
- *Zima . pierre valery (1979) La Sociocritique . pour une sociologie du texte littéraire. Union général d'édition .paris.*

المجالات و الدوريات :

- أبو هيف . عبد الله (2001) "المنهج الاجتماعي في النقد الأدبي العربي الجديد " (رؤية نقدية) . مجلة اللغة والأدب . جامعة الجزائر . ع15 .
- بوعلي . عبد الرحمن . " أثر المنهج السوسيولوجي في الدراسات النقدية العربية " مجلة الوحدة . ع49.

- بركان . سليم . (2013) " تلقي الخطاب النثدي السوسيولوجي في الجزائر " . جامعة جيجل . الجزائر . الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب . جامعة قاصدي مرباح ورقلة .
- عصفور . جابر (2006) . " عن البنيوية التوليدية : قراءة في لوسيان غولدمان" . مجلة فصول . الهيئة العامة المصرية للكتاب . ع 68.

الرسائل الجامعية:

- خلف الله . بن علي (2012لمح2011) النقد الجزائري من السياق إلى النسق –دراسة وتقويم –قادة عقاق . أطروحة دكتوراه في النقد العربي الحديث والمعاصر .جامعة جيلالي ليابس . سيدي بلعباس .
- ساري ..محمد (1991) ." النقد الأدبي مناهجه و تطبيقاته عند محمد مصايف" رسالة ماجستير . معهد اللغة و الأدب العربي. الجزائر.

* **طالبة دكتوراه، جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر**

ملحــق:

❖ **الجانسنيستية** : مذهب مسيحي يقوم على الفكر اللاهوتي الهولندي " جانسنيوس " (1585 –1638) . آمن بالجبروت ، أنكر الإرادة الحرة للإنسان .

◆**جورجي بليخانوف (1856 –1918)** : ثوري ومفكر روسي ، ومنظر ماركسي بارز ، ذو شخصية اجتماعية شهيرة . مؤسس الحركة الديمقراطية الاجتماعية في روسيا . من مؤلفاته الرئيسية : تطور النظرة الواحدية للتاريخ (1895) ، مقالات في تاريخ المادية (1896) ، دور الفرد في التاريخ (1898) .

❖ **جورج لوكاتش (1885 –1971)** : فيلسوف وكاتب وناقد ووزير مجري ماركسي ، يعده معظم الدارسين مؤسس الماركسية الغربية في مقابل فلسفة الاتحاد السوفياتي . أسهم بعدة أفكار منها " التشيؤ " و " الوعي الطبقي " تندرج تحت الفلسفة الماركسية . وكان نقده الأدبي مؤثرا في مدرسة الواقعية الأدبية ، وفي الرواية بشكل عام باعتبارها نوعا أدبيا . من مؤلفاته : الروح والأشكال (1911) ، نظرية الرواية (1920) و التاريخ والوعي الطبقي (1923) .

◆**كارل ماركس (1818 –1883)** : فيلسوف ألماني ، واقتصادي ، وعالم اجتماع ، ومؤرخ ، وصحفي واشتراكي ثوري صاحب النظرية الماركسية . لعبت أفكاره دورا هاما في تأسيس علم الاجتماع ، وفي تطوير الحركات الاشتراكية. واعتبر ماركس أحد أعظم الاقتصاديين في التاريخ . نشر العديد من الكتب خلال حياته أهمها : بيان الحزب الشيوعي (1848) ورأس المال (1867 –1894) .

◆**كارل ماركس (1818 –1883)** : فيلسوف ألماني ، واقتصادي ، وعالم اجتماع ، ومؤرخ ، وصحفي واشتراكي ثوري صاحب النظرية الماركسية . لعبت أفكاره دورا هاما في تأسيس علم الاجتماع ، وفي تطوير الحركات الاشتراكية. واعتبر ماركس أحد أعظم الاقتصاديين في التاريخ . نشر العديد من الكتب خلال حياته أهمها : بيان الحزب الشيوعي (1848) ورأس المال (1867 –1894) .

◆**لوسيان غولدمان (1913 –1970)** : فيلسوف فرنسي ، يعتبر أهم وجوه البنيوية التكوينية ذات الأصول التاريخية . من مؤلفاته : الإله الخفي (1955) ، من أجل سوسيولوجيا الرواية (1964) .

◆**هيبوليت تين (1828–1893)**: فيلسوف ومؤرخ وناقد أدبي ، فني وفرنسي ، مؤسس المدرسة الحرة للعلوم السياسية. من مؤلفاته : تاريخ الأدب الانجليزي (1863) ، أصول فرنسا المعاصرة (1875 – 1893) .

Résumé

La critique sociologique entre théorisation et réalisation Lecture du corpus de la critique algérienne contemporaine

Cette recherche vise à faire une lecture de la méthode sociologique des approches de la critiques algérienne contemporaine, tant sur le volet de sa théorisation que celui de sa réalisation, et afin de réaliser cet objectif, le plan de la recherche a nécessité d'aborder deux axes principaux, le premier a été consacré aux questions théoriques du courant sociologique depuis ses prémices jusqu'à l'éclosion de courants critiques dont ceux de la Sociologie Polémique, le Structuralisme génétique et la Sociocritique. Quant au deuxième axe, il a été réservé à la lecture et l'évaluation des littératures arabes contemporaines, notamment le corpus algérien qui a abordé la critique sociologique.

Mots –clés : critique sociologique, matérialisme dialectique, théorie du reflet, engagement, vision du monde, structuralisme génétique, sociocritique